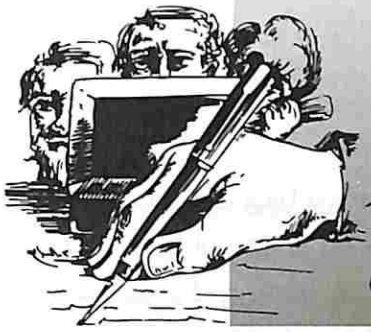

أقلام واعدة

هشام القاضي.. في «صراع الأحاسيس»

هشام بن صالح القاضي، شاب على أبواب التخرج من كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، درّست له بعض المواد في فصول دراسية مختلفة، وقد أعطاني مؤخراً ديوانه المخطوط «صراع الأحاسيس»، الذي يقع في ثمان وستين صفحة من القطع الصغير، ويضم ستا وعشرين قصيدة.

وقصائد الديوان ذات حس إسلامي واضح، تعبر عن إنسان متلهف لانتصار الحق، يسوؤه ما يراه من عوامل القنوط والإحباط، وتحرك نفسه وشعره رغبة عارمة في انتصار الحق، وإعلاء راية الإسلام.

يقول في قصيدته «**قنبرة خَلاَ لها الجوُّ**» (وليست القنبرة إلا إسرائيل):

خلا لك الجوُّ فبيضي واصفري
ونقِّري ما شئت أن تنقِّري
حقِّري ماشئت أن تحقِّري
وبعثري ما شئت أن تبعثري
خلا لك الجوُّ أيا قنبرةٌ
فدمِّري ما شئت أن تُدَمِّري
تخطَّفتْ صقورَنا نازلةٌ
أوْدت بها، وأنزلتها «المشتري»!
نازلةٌ ظالمةٌ كاذبةٌ
خاطئةٌ في عُرْف كل الأعْصرُ!

ولكنه يهدِّد هذه القنبرة المجنونة الظالمة التي لاتدرك ناموس الله وسننه في كونه، بأنها إلى زوال وإلى انهزام.

ستعلمين في غد إذا انجلتْ
عن الصقورِ سَوْرَةُ المسيطرِ
أن البقاءَ للذي مبدؤه
الحُكمُ للّه العليِّ الأكبرِ

وفي قصيدة «**شدو قمري**» حس شعري لا تخطئه عينا القارئ، أو ذوق الناقد، ومن جميل قوله فيه:

أشْدُ يا قمريُّ واشكُ قلَّة الماء القُرَاحْ
هذه الدوحةُ تأبى الطيرَ يسمو للنجاحْ
تسكُنُ الغربانُ فوق الغصن والطير الكساح
لتغني بنعيقٍ فيُسمىَّ بالصُّدَاحْ
وترى الصقر الذي قد كان رفرافَ الجناحْ
ذلك الكاسر مكسوراً يُنحَّى بالرِّماحْ!

لكن ما يُقلِّل من التجاوب مع التجربة الشعرية عنده، ميله إلى استخدام الكلمات الغريبة، في مثل قوله:

اشْدُ يا قمريُّ.. إن الأذنَ أعياها «الضُّباح»

ويشرح في الهامش الضُباح: بأنه صوت الثعالب، وهذا ما كان يفعله **عزيز أباظة وعدنان مردم بك** ـ رحمهما الله ـ في دواوينهما ومسرحياتهما.

كما أن ميله المبكر للتفلسف، والحكمة يباعد بين المتلقي والتجاوب مع تجربته الشعرية.

وأرى أنه في حاجة ملحّة لمراجعة إنجاز القصيدة الغنائية في ديوان الشعر العربي الحديث بدءاً من **البارودي**، وانتهاءً **بمحمود حسن اسماعيل، وأبي القاسم الشابي، وهاشم الرفاعي**.. مع الحرص على الصبر على الصياغة وأرى أن تجربته في شعر التفعيلة أكثر نضجاً، حتى وإن سخر هو منها وسماها «**سمادير فتى في الثمانين: صورة من شعر الحداثة**» والتي يقول في مقطعها الثاني:

إلامَ الصمت ياميمي
سنصرخُ كالمجانينِ
نطالبُ بالذي نرجوه أن يطغى
على كلِّ القوانين
نحاربُ أمسنا المملوءَ بالأوحالِ والطِّينِ
ونجلو غُرَّة البشرى
لماذا الصمتُ يا ميمي
سنهزأ بالعناوين
وبالزيتون والتين
وبالصادات والسين
ونسخرُ بالموازين
فنحن الآن لانخشى

يقدمها:

د. حسين علي

محمد

...يس» .. صوت شعري جديد

ولا نرضى..

بأن يطغى علينا ألفُ مليون!

ففي هذه القصيدة تصوير للانطلاق المنفلت عند الحداثيين الذين يهزؤون بكل ماهو موروث، وتصوير لقطيعتهم المعرفية مع أمسنا المزهر الذي يرونه «مملوءاً بالأوحال والطين»، وهذه مفارقة جيدة استطاع النص في تلقائيته وعفويته أن يلمسها، وأن يشير في صراحة إلى استهزائهم بالأصيل من حضارتنا وموروثنا الذي أصبح «عنواناً» لنا، به نُعرف ولايمكن أن نخرج عليه، ثم أخيراً ثورتهم على المقدس من خلال استهزائهم بـ «التين والزيتون»، الذي أقسم الله به في كتابه الكريم. ومع النهاية الحاسمة يُبَيّن لنا أن هذه الشراذم «قليلة العدد» تتمرد على الأغلبية المسلمة، وتُسمي عقيدتها طغياناً..

ولا نرضى..

بأن يطغى علينا ألف مليونِ

ومن الملامح الجيدة في شعر هشام القاضي ميله إلى كتابة قصائد التوقيع، أو «القصائد الومْضة»، وهي تلك القصائد القصيرة، أو المقطوعات التي تعبر عن تجربة حياتية كاملة، أو رؤية للحياة من إحدى الزوايا، ومنها تلك المقطوعة المعنونة بـ «ورقة من ديوان الأحداث»، والتي تقول كلماتها:

نُذُرٌ تلوحُ فتنذرُ ... وخُطى النصيحةِ تعثُرُ

والمُنْذَرون مغيبو ... ن على الحقيرِ تجمهروا

والمنذرون مكممون ، ... فلا الحقيقةُ تظهرُ

والصامتون عن الحقيقة جُلُّهم مستأجَرُ!

والمجرمون يقهقهون، وفجرنا يتقهقر

إن البروق إذا تتابع ومضها فستمطرُ!

وقد كتبها في مطلع ربيع الأول ١٤١٧هـ ليصور بها حالة أمتنا الإسلامية في صورة كلية، تجمع بين التصوير القادر على الإيلام، والحركة التي يدفعها تتابع الصور من «النذر» التي تلوح، و«الخُطى» التي تتعثر ثم التجمهر حول الأشياء الهازلة والحقيرة، وحينما تصير الجماهيرُ المسلمةُ صامتةً، وصمتُها مُشترى، أو «مستأجر» «وما أقسى الصورة!».. بينما أعداء الأمة - أولئك المجرمون العتاة - يقهقهون، والظلام يستمر، والفجر يتقهقر.

لكن البيت الأخير يجيء كطعنة الخنجر، مبشراً بصبح آت قريب، تعيد فيه للمستضعفين المسلمين صولَة وجولة:

إن البروق إذا تتابع ومضها فستمطرُ!

وهذه هي سمة الأدب الإسلامي الحق - كما أشار أستاذنا الدكتور الطاهر أحمد مكي ذات يوم - سمته الفارقة، أن لايدع لليأس مجالاً ليتملّك القلوب، أو يَسدُّ منافذ الأمل.

● محمود حسن إسماعيل

بقيت كلمة في نهاية هذه الإضاءة لأشعار هشام القاضي في «صراع الأحاسيس»، وهي قدرته على المعارضة، فما أكثر القصائد التي عارضت قصائد تراثية لـ**عبد يغوث الحارثي**، و**كعب بن زهير**، و**جرير**، و**المتنبي**.. وغيرهم.

● أبو القاسم الشابي

وها هو ذا هشام القاضي يعارض بائية **بشار ابن برد** التي مدح بها **يزيد بن عمر بن هبيرة** «وفي رواية أنه مدح بها **مروان بن محمد**» والتي مطلعها:

جنا ودَّه فازورَّ أو ملَّ صاحبُه

وأزرى به أن لايزال يُعاتِبُهْ

والتي يقول فيها:

إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ معاتباً

صديقك لم تلْق الذي لا تعاتِبُهْ

فعشْ واحداً .. أو صلْ أخاك فإنَّه

مقارفُ ذنبٍ مرَّةً، ومُجانِبُهْ

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى

ظمئت وأيُّ الناسِ تصفو مشاربه

(ديوان بشار، جـ١، ص٣٠٥ طبعة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة)

يقول **هشام القاضي** في مطلع معارضته: